

الانتفاضة ومفهوم المقاومة المدنية

محمد خالد الأزهرى

الاصـل في أي حركة تحرر هو الرفض؛ رفض الاستعمار والاستغلال والاستبداد والتبعية وأشكال القهر كافة. وحينما يصل الشعب، أي شعب، الى هذه القناة يبدأ بالبحث في وسائل الحركة النضالية. ولكل حركة نضالية بيئتها المحيطة ومناخها؛ ومن هنا تتعدد الوسائل النضالية المتاحة. ومن يقدر له متابعة مسار حركة التحرر الفلسطينية سوف يتوقف مطولاً عند الاساليب والوسائل الكفاحية التي سلكتها هذه الحركة عبر تاريخها الذي زاد على القرن. فمن سمات الحركة هذه انها ثابتة على رفضها للاستعمار، على اختلاف العباءات التي تدثر بها، وانها كانت، دوماً، قادرة على اعادة التكوين واستخدام كل الوسائل المتاحة للتعبير عن ارادة الاستقلال. وفي هذا السياق، استطاعت الحركة هذه ان تسلك دروباً سبق لحركات تحرر أخرى سلوكها، واستطاعت ابداع وسائلها الكفاحية الخاصة بها، لكي تصبح، بذلك، نسيج وحدها ونموذجاً غير مسبوق.

موضوع هذا البحث هو النموذج النضالي للانتفاضة الفلسطينية الكبرى، في ضوء مفهوم المقاومة المدنية. في هذا الاطار، يعرض البحث لمفهوم المقاومة المدنية، ويعرّف بعض المصطلحات المرتبطة به، ويحاول استخلاص شروط هذا الاسلوب النضالي، وأدواته، أو اسلحته، ويتناول، في عجلة، الجدل الفكري بين مؤيدي المقاومة المدنية ومعارضيه، ويقدم لمحات تاريخية عن التطبيق الفلسطيني للنضال المدني. وفي نقطة أخيرة، يجتهد البحث في اختبار مدى جدوى المقاومة المدنية لمواجهة نموذج الاحتلال الاسرائيلي في الضفة الفلسطينية وقطاع غزة بشكل خاص.

مفهوم المقاومة المدنية

في سياق انتهاج حركة التحرر الفلسطينية المعاصرة للعنف، واعتباره، لفترة طويلة، الاسلوب الوحيد لمواجهة الاستعمار الصهيوني، استحوذت المفاهيم المرتبطة بالعنف، كحرب التحرير الشعبية والعنف الثوري والكفاح المسلح وحرب العصابات، على الاهتمام، على صعيدي الفكر والحركة. ولم تحظ المفاهيم المرتبطة باللاعنف سوى بالقليل من العناية، إن كان ثمة انشغال بها على الاطلاق. هذا على الرغم من ان تحديد المفاهيم المرتبطة بالتجارب النضالية هامة بوجه عام، وذلك من الناحيتين، النظرية والعملية. نظرياً، يعني هذا التحديد استجلاء المقصود على وجه الدقة عند استخدام مصطلح بعينه، في وضع بعينه، الامر الذي يزيل الخلط والغموض من ذهن المتابعين، وبخاصة من غير المتخصصين. وعملياً، يساهم التحديد في التعرف على الاختلافات النسبية بين تجربة نضالية تاريخية وأخرى، وكذلك التعرف على التطور التاريخي لتجربة نضالية معينة، والعناصر الحاكمة لهذا التطور بين مرحلة وأخرى، وعلى سبيل التوضيح الموجز، نشير، من الناحية النظرية، الى كيف انه كما